

الصراحة والحرية... ضد الحرب

بقلم جبران تويني (النهار ٢١/٩/٢٠٠٠)

لا شك ان بيان بكركي الأخير يشكل تطورا نوعيا في الخطاب اللبناني السياسي. وهذا التطور يجيء بعد الكلام الجديد الذي سمعناه خلال المعركة الانتخابية حول المصالحة الوطنية وخصوصا كلام النائب وليد جنبلاط على الحوار اللبناني - اللبناني وطى صفحة الحرب وطرح قضية الوجود السوري في لبنان.

ومما لا شك فيه ان ما جاء في بيان بكركي هو ما تردده الاكثرية الساحقة من اللبنانيين، سواء على مستوى المطالبة بالدوائر الصغرى، او الدور الذي لعبه المال في الحملات الانتخابية مترافقا مع تحريك النعرات المذهبية والطائفية وتدخل أجهزة المخابرات السورية، او على مستوى الازمة الاقتصادية والبطالة ومشكلة اليد العاملة السورية، او على مستوى الوجود العسكري السوري بعد الانسحاب الاسرائيلي والمطالبة باعادة انتشاره وانسحابه، او على مستوى التأكيد ان لبنان معافى يكون أفضل لنفسه ولسوريا من لبنان مقسم ومريض.

وهذا الكلام الجديد في انشائه وقديم في محتواه يجب ان لا يثير مخاوف المسؤولين اللبنانيين، لابل هو قد يساهم بصراحته وهدوئه في ترسيخ حوار جدي وفعال تمهيدا لمرحلة تأليف الحكومة الجديدة التي ستكون مسؤولة مباشرة عن ابتكار حلول للمشاكل المطروحة.

كما أننا نعود لنؤكد للمسؤولين السوريين، وعلى رأسهم الرئيس بشار الاسد، ان المصالحة والصراحة أفضل السبل لبناء اتفاق جدي بين لبنان وسوريا كما سبق وقلنا في كتاب مفتوح الى الرئيس الاسد قبل ان ينتخب رئيسا للجمهورية السورية.

وانطلاقا من هنا نتساءل لماذا كل هذه الحملة المدروسة والمدسوسة نتيجة القداس الذي أقيم لراحة نفس الرئيس بشير الجميل والقداس الذي اقيم لراحة أنفس شهداء المقاومة اللبنانية؟

وماذا وراء هذه الحملة؟ ومن المستهدف بها؟ أمهي المصالحة اللبنانية - اللبنانية، أم العهد الذي كان دائما مؤيدا للمصالحة والحوار؟ أم المستهدف هو الاستقرار من أجل بث الذعر والعودة الى الوراء؟

ان كل من يشارك اليوم في هذه الحملة يشارك في صب الزيت على النار وعرقلة المصالحة الوطنية وتكبير الصدع داخل المجتمع اللبناني، متوخيا، مباشرة ومن خلال النتائج، اضعاف العهد وبالتحديد وهو على أهبة اجراء المصالحة الوطنية. فهل المطلوب من ابطال هذه الحملات الذين يبدو أنهم أول المتضررين من الانفتاح ومن المصالحة، هل مطلوب منهم ضرب العهد لأنه يتعهد المصالحة؟! ولماذا يصورون المصالحة اعادة لايام الحرب؟ ومن قال ان التحوار اللبناني - اللبناني يعني العودة الى العنف؟

من هم هؤلاء الذين يحاولون اليوم وبشتى الطرق محاصرة الانفتاح والحوار والمصالحة والوحدة؟ ولماذا يعتبر قداس احتفالي لراحة نفس رئيس للجمهورية اللبنانية مهرجاناً مسيحياً متطرفاً؟ ولماذا ينعت هذا القداس وقداس ميفوق بأنهما مهرجانان يستحضران اشباح الحرب وتُشن على اثرهما حملات توقيف وتصعيد كلامي بينما يُسمح بمهرجانات أخرى لـ "حزب الله" مثلاً وبالسلح وفي بيروت بالذات وبشعارات طائفية وبمهرجانات في البقاع لمطلوبين من العدالة وبمهرجانات حزبية وحركية وغيرها من لون سياسي واحد دون ان يعتبر احد منا انها قد تستحضر صور الحرب؟

لماذا هذا التعاطي الاحادي الجانب والاعور؟ ومن يقف وراء هذه الحملات المسعورة التي تستهدف اولاً واخيراً الحرية والديموقراطية والتعددية اللبنانية ولا تفوح منها الا رائحة التهديد لكل بارقة كرامة وطنية كلما لاحت مثل هذه البارقة؟ لا يريد احد منا العودة الى الورا، ولا يريد احد منا ان نعود الى ايام الحرب. لقد دفع اللبنانيون غالباً واغلى ما يكون ثمن الحرب وثمان السلم وثمان الارض - ارضنا وارض سوانا - بكل انواع القتال والدفاع والانتحار، وما عاد احد يريد العودة الى مثل ما فات. لا والف لا للحرب وللعودة الى الورا، ولم يطلب جيلنا، جيل الحرب، مرة ولن يطلب من احد ان يقوم بعملية تصفية او تسديد حسابات او اخذ بالثار، تحملنا مسؤولية الحرب وحدنا ولن نحملها لأولادنا او للأجيال الجديدة!

نحن، ابناء جيل الحرب، نحن اكثر من يحصن الوطن بعدم العودة الى ايام الحرب السوداء. فلا القداديس ولا المهرجانات ولا بيان بكركي ستعيدنا الى الورا، لا بل ان هدفها الاساسي الخروج من مركبات الخوف والتفوق والكبت والقهر. انها سبيل من سبل التعبير الديموقراطي المدني السليم والمسالم.

ان ما يدور اليوم من سجال حر هو الطريق الوحيد لتكريس المصالحة. اما التحريض والتخوين والتخويف والقمع ومنع فئة من اللبنانيين من التعبير عن رأيها فهي التي قد تعيدنا الى الورا، الى الغبن والخوف والانتقام والحقد والطلاق!!! لذلك نعود لنقول نعم والف نعم للمصالحة والكلام الحر والحوار الصادق تحت سقف الدولة وفي حمايتها. ولا والف لا لكل من يريد قمع الحريات وضرب وحدة لبنان عبر ضرب الحوار وزرع الخوف والنعرات الطائفية والمذهبية وتصديق المجتمع. اوقفوا الدس والتحريض. لقد سقطت جميع الاقنعة وظهرت الاعيب اللاعبين والمتلاعبين وانكشفت اسرار الافخاخ.

فلتخرس اصوات النفوس الصغيرة ولتتحرر النفوس السليمة ليتحرر المجتمع اللبناني من عقده ونبدأ يدا واحدة وقلبا واحدا وعقلاً واحداً، وفي ظل دولة قوية وحكومة وحدة وطنية، بتكريس المصالحة الوطنية المنشودة التي من دونها لا وحدة للشعب ولا للارض ولا طمأنينة وطنية.